

نسي الطين ساعة أنه طين . حقير فصال تيهها وعربد بدأ الشاعر قصيدته بقوله (نسي الطين) حيث جعل الطين فاعلا منزلته الرفع التي هي أشرف الرتب الإعرابية وأعلاها ، ليلفت النظر إلى أن شيئا ما قد خرج عن أصله وطبيعته ، فكيف يصير الطين الحقيير في أعلى المراتب؟! ولا يكتفي بذلك ولا يقف عند إنزال نفسه منزلة لا يستحقها بل تمرد وتكبر وساء خلقه ودخله الغرور . والشاعر يرمز بالطين إلى الجنس البشري ويقصد به ذلك الإنسان الذي نسي أصله وحقارته وطفق ينشر الفساد ويتكبر على بني جنسه. ونلاحظ أن معظم الفاعلين في القصيدة ضمير مستتر ، وقد قصد الشاعر بذلك توسيع هذه المعاني لتشمل كل من يجد في نفسه هذه الصفة ولا يربطها بشخص معين أو مناسبة خاصة، أو لأن ذلك يعود إلى ظروف الشاعر الذي عاش في أرض المهجر "أمريكا" ولم يستطع أن يصرح باسم هذا الشخص لأسباب خاصة . وكسى الخز جسمه فتباهى . أعاد الشاعر في هذا البيت للإنسان المتكبر منزلته الحقيقي بها ؛ حيث جعل جسمه ومظهره مفعولا به منصوبا ، ليبين له أن تلك المنزلة التي رأى نفسه فيها إنما هي نتيجة اغتراره بمظهره . وهكذا أنزل الشاعر جسم المتكبر منزلة النصب ثم جعله مجرورا بالإضافة، ثم قال (وحوى المال كيسه) ليؤكد حقيقة هذا النوع من الناس ، إذ هو مضاف إلى كيس ماله منزلته مرتبطة به لا يسوى دونه شيئا ، فهو مجرور مذلول بسبب حبه للمال ليملاً به كيسه الذي بدونه لا يسوى شيئا وكأن كيس المال يجره ويتحكم فيه . يا أخي لا تمل بوجهك عني . ويمضي الشاعر في قصيدته متمسكا بالمعنى الذي بدأها به حيث يقول يا أخي لا تمل بوجهك) ، فاعل تمل هو أنت وقد جاء ضميرا مستترا ، ثم أنزل أكرم شيء فيه منزلة الجر حين جعله وجهه مجرورا بحرف يجره الحرف جرا . وقوله (يا أخي) إنما هو لتذكيره بأنهما من جنس وأصل واحد لا فرق بينهما ومما يؤكد ذلك أن الشاعر أضاف كلمة أخ إلى ضمير النفس أو المتكلم، ناهيك عما تحمله الكلمة من معنى . وعند قوله (ما أنا فحمة ولا أنت فرقد) يؤكد له أن لكل منهما نفس المنزلة وإن اختلفت المظاهر وتباينت الظروف . أنا: ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ . أنت : وإن كان مبنيا على الفتح إلا أنه ضمير منفصل للرفع على أنه مبتدأ . وقد سبق كلا الضميرين حرف نفي ، واختلاف الحرف مقصود فهو يعكس اختلاف ظروف الغني والفقير ، وهما من حيث المعنى والغرض شيء واحد . فاستخدم ضمير الرفع المنفصل ؛ ليخبره أنه بهذه المنزلة المزيفة التي تعالي بها وتكبر وتغترس لم تستطع أن تنصب الحرير الذي تلبس ولا اللؤلؤ الذي تتزين به . إذن منزلتك التي رفعت نفسك إليها ما هي إلا بفعل مظهرك وملبسك لا بروحك وجوهرك ؛ فمظهرك وزينتك أعلى وأرفع من روحك وجوهرك. ومما يدل على خوائك وضعف حيلتك وقوتك عجزك عن نصب من نصبك وهو الحرير : (كسى الخز جسمه / لم تصنع الحرير) . أنت يا من رأيت نفسك شامخا في الإعراب ومنزلته كل ما صنعت هو تزييف حقيقتك حين وضعتها في أرقى الرتب الإعرابية الرفع (أنت). هل استطعت أن تنصب الجمال أو النضار فضلا عن جره؟؟ هل استطعت ذلك وأنت متحرك بدافع فيسيولوجي ضروري وهو طلب المطعم والمشرب؟؟ ألم تستطع ذلك فما الحالة الإعرابية التي تستحقها؟! أنت في البردة الموشاة مثلي . في كسائي الرديم تشقى وتسعد ويستمر الشاعر في مناداته بالصورة التي رفع إليها نفسه ثم يثبت له الحقيقة فيقول :أنت في حالة الرفع الراقية التي ترى فيها نفسك إنما حصل ذلك بفعل البردة الموشاة التي ترتديها ، وهي بردة حقيرة مجرورة بجرها الحرف جرا، فأنت بذلك تزيد نفسك حقارة وذلك إذ رأيت نفسك عزيزا كريما شامخا في الإعراب ومنزلته لارتدائك بردة حقيرة . ثم إن بردتك الموشاة لا تختلف عن كسائي الرديم فكلاهما له نفس المنزلة الإعرابية ، وأنا وأنت في مرتبة واحدة سواء بسواء تشقى وتسعد . ولقلبي كما لقلبك أحلام . حسان فإنه غير جلمدثم يعمق الشاعر مبدأ المساواة بينهما (بين الغني والفقير) فجعل القلبين مجرورين بنفس الحرف (اللام) ثم أضافهما لضميرين لهما مرتبة إعرابية واحدة أينما وقعا . ومضمونه أن قلبي يجرتي كما أن قلبك يجرك ، وأمانيك كلها من عسجد؟ أمني كأمانيك لهما منزلة واحدة من الإعراب ، فإن كنت ترى أمانيك شيئا عظيما وهدفا ساميا ذا مرتبة عالية ومكانة رفيعة فكذلك أرى أمني ، ومعنى البيت :أني مضاف إلى أمني مجرور بها ، ألهمت في الحياة لتحقيقها تماما كما هو الحال عندك ؛ فأنت مضاف لأمانيك مجرور بها . ثم ينفي الفرق بينهما حين أكد كلا الأمانيتين بـ(كلها) ، وجعلهما مبتدأ ذا مرتبة الرفع العظيمة ، ولكنها ليست أمني كاملة حتمية المنال أو تحقق سعادة وخلودا ؛ وأمني كلها للتلاشي . وأمانيك للخلود المؤكد وكذلك نهاية الأمني وغايتها نهاية شبيهة بالبداية حقيرة دنيئة مجرورة سواء كانت خلودا أو فناء ، من تراب ، للخلود. ونجد الشاعر هنا قد عمق معنى المساواة حيث أضاف أمانيه إليه وأضاف أمني المغرور على المغرور كذلك ، وحذف خبر الأمانيتين وعلق به الجار والمجرور . فلجميع أهداف ، والكل يسعى جاهدا لتحقيقها. ثم أكد أمانيه ولم يؤكد أمني المغرور ولكنه عوض ذلك بالصفة التي جاءت من لفظ التوكيد (المؤكد) ، لا فهذي وتلك تأتي وتمضي . كذويها وأي شيء يؤيد؟ إن أمني شيء رفيع ومطلب كبير ومطمع سامي كما ترى أمانيك ، وإن كانت أمني قريبة بسيطة متواضعة كما تراها أيها الغني المغرور :هذه: اسم

إشارة مبني ، للقريب في محل رفع مبتدأ . تلك : اسم إشارة مبني ، للبعيد في محل رفع معطوف على المبتدأ . وهنا يعمق الشاعر المساواة بين الأمنيتين ويقررهما ، وذلك حين عبر عنهما باسمي إشارة ، ثم أشركهما في الخبر . وحين نلاحظ الربط بين إعراب البيت وكلمتي (تأتي وتمضي) نجد الترابط العجيب ، وذلك أن فائدة (هذه وتلك) إما أن تأتي إلى الجملة الفعلية (تأتي) أو يمضي عنها إلى الجار والمجرور (كذويها) ، ويكون التقدير حينئذ (هذه وتلك كائنة كذويها تأتي وتمضي) وتكون الجملة الفعلية في محل نصب حال . وإذا راعك الحبيب بهجر . ودعتك الذكرى ألا تتوجد ؟ عاد هنا لمناداة المجرور لكن ينزله المنزلة التي يستحقها ، . منزلة إنسانيته وواقعه وحاجته ، أنزله منزلة النصب على النداء مرة والنصب على المفعولية أخرى